مجلـــة بدايـــات
Revue :Bidayat ISSN: 2676-198X
المجلد: الرابع(04) / العدد: الأول(01) /جانفي 2022 / ص ص: 144-148

" إني وضعتها أنثى" مظاهر التحدي في السرد النسوي الجزائري

I have delivered a female"Aspects of the challenge in the Algerian feminist narrative."

ذباح جمال [1]

Debah djamal [1]

[1] جامعة الجزائر 2 (الجزائر)

البريد الإلكتروني :djamal.debbah @univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال:16-10-2021	تاريخ التحكيم:01-11-2021	تاريخ القبول: 17-11-2021	**تاريخ النشر**: 30-01-2022

ملخص البحث

ترسخ في الثقافة البشرية الموقف المضاد للمرأة و الذي نلمسه بداية في التوراة وما صاحب ذلك من تأويلات أدت إلى تقبل هذا الموقف وكأنه حقيقة إلاهية ومشيئة ربانية ولقد اخبرنا سفر التكوين عن قصة الخلق وكيف أن حواء خلقت من ضلع آدم وبذلك أصبحت فرعا من الرجل وتابعا له والأسوأ من ذلك أنها ارتكبت خطيئة ظلت تلازمها إلى يومنا هذا ولعل قصة امرأة عمران خير دليل على الثقافة السائدة آنذاك (و حتى الآن) والتي تفضل الذكر على الأنثى. ومثلت السيدة العذراء التحدي الكبير بدخولها المعبد للخدمة فيه كأول أنثى تخرق الناموس وعلى خطاها سارت العديد من النساء في مشارق الأرض ومغاربها وعندنا في الجزائر بإمكاننا الحديث عن نساء كان ولا يزال هاجسهن هو تحرر المرأة اجتماعيا وسياسيا وجسديا وبالطبع كان الذكر بالنسبة لهن رأس القوى المعوقة التي تحول بينهن وبين حريتهن وبالتالي السمة الغالبة لسرودهن تأخذ شكل ضد الرجل /الذكر فكان المكون المحوري لهذه السرود المعروفة بالنسوية هو تفكيك ونقد الثقافة الذكورية المهيمنة والنظام الأبوي السائد وانتصرت المرأة لقضايا المرأة وفضحت مكامن القهر المسلط عليها وكتبت في ميادين مختلفة ركزت فيها على ذات المرأة.

الكلمات المفتاحية : المرأة ؛ الأنثى ؛ النسوية ؛ تمرد ؛ ضدية

Abstract:

The anti-woman attitude, which we see first in the Torah, and the accompanying interpretations that led to accepting this position as if it were a divine reality and a divine will, and the Book of Genesis told us about the story of creation and how Eve was created from Adam's rib and thus became a branch of man and a follower of him and worse Including that she committed a sin that has accompanied her to this day. Perhaps the story of Imran's woman is the best evidence of the prevailing culture at the time (and until now) which favors the male over the female. The Virgin represented the great challenge by entering the temple to serve there as the first female to break the law, and in her footsteps many women walked in the east and west of the earth, and we have in Algeria we can talk about women whose obsession was and still is women's liberation socially, politically and physically, and of course the male for them was the head of the hindering forces that transform Between them and their freedom, and thus the dominant feature of their narratives takes a form against the man/male, the central component of these narratives known as feminism is the dismantling and criticism of the hegemonic patriarchal culture and the prevailing patriarchal system, and the woman triumphed over women's issues and exposed the sources of oppression imposed on her and wrote in various fields in which she focused on the same woman

Kays words : Woman .Female. Feminist. Insurgency. Antagonist.

[1]- **المؤلف المرسل**: ذباح جمال:djamal.debbah @univ-alger2.dz

قامت العديد من مفكرات النسوية الأولى بمحاربة ما توارثته الذاكرة الجمعية و الفردية من أفكار سلبية عن المرأة من خلال صورتها في التراث اليهودي و المسيحي- المرأة أصل الخطيئة - وصورة المرأة في أعمال و مواقف الكثير من علماء و فلاسفة الغرب فأفلاطون كان يضع المرأة في مصاف المرضى و العبيد و الأشرار أما ديكارت الذي أسس فلسفته على الثنائية عقل/مادة فقد ربط العقل بالذكر و المرأة بالمادة ووصف كانط المرأة بأنها ضعيفة التكوين خاصة في قدراتها العقلية وقرن جان جاك روسو المرأة بالجنس و الإنجاب فقط

أسست هؤلاء الرائدات نظرية فكرية تحمل اسم جنسهن "النسوية" والتي عرفنها بأنها

منظومة فكرية أو مسلكية تدافع عن مصالح النساء و داعية إلى توسيع حقوقهن و تعرف الكندية "لويز تزبان النسوية" بأنها "انتزاع وعي فردي في البداية و من ثم وعي جمعي تتبعه ضد موازين القوى الجنسية و التهميش الكامل في لحظات تاريخية معينة "[1] أما سارة جمبل فعرفت النسوية بأنها "مصطلح يشير إلى كل من يعتقد أن المرأة تأخذ مكانة أدنى من الرجل في المجتمعات التي تضع الرجال و النساء في تصانيف اقتصادية أو ثقافية مختلفة و تصر النسوية على أن هذا الظلم ليس ثابتا أو محتوما و أن المرأة تستطيع أن تغير النظام الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي عن طريق العمل الجماعي[2] فتحول الصراع الذكوري الأنثوي إلى مادة أدبية فكرية لغوية حاولت المرأة أن تستغل في ذلك السلطة الذكورية نقطة انطلاق نحو تحرير مجتمعاتنا من الظلم الذي وقع عليها بسبب نظام المجتمع الأبوي لا سيما في بلداننا العربية بالنظر لما عليه المرأة الغربية و ما حققته من "حرية" لتعلن النسوية العربية قيام ثورتها على الاضطهاد الذكوري و على النظام البطريركي و هذا ما سعت الكاتبات العربيات إلى تحقيقه عبر أعمالهن فكان من بين أهم اللبنات التي تأسس عليها صرح المتن الحكائي النسوي لبنة التحدي .. التمرد.. المناهضة.. أو بلغة واضحة بناء الذات (الأنثى) المختلفة عن الآخر(الذكر) باعتبار الكتابة الروائية الجنس الأدبي الأكثر قدرة على استيعاب و تمثل هموم المرأة و التعبير عن مواجعها و الإعلان عن حضورها فها هي فضيلة فاروق تشهر سلاحها المتمثل في السرد قائلة : " كانت كمنجة ,وأمام كمنجة حالمة لا يمكننا سوى أن نحلم سوى أن نكتب ولهذا كتبت لك الكثير من الرسائل , كنت غزيرة الكتابة و بما أنني أيضا كما قال (غي دو كار) امرأة (و المرأة تعشق السرد لأنها تقاوم به صمت الوحدة)"[3] وتبدأ تمردها مبكرا في سن الطفولة وذلك باختلافها عن بنات جنسها و هي تحكي على لسان بطلتها " سمعت العمة كلثوم تهمس للعمة تونس أني خفيفة و لهذا سأجد متاعب مع رجال العائلة ,لكن العمة تونس لم تهتم ...إنها طفلة .. العمة كلثوم أصرت : إنها تختلف عن بناتنا و الحقيقة إنني لم أكن مختلفة .. كانت والدتي هي المختلفة"[4] وفي تحد صارخ لسطوة الرجل وبخطى واثقة في اخطر مرحلة من مراحل العمر المراهقة ترد على والدتها أثناء تحذيرها لها من الحب " يا ابنتي سيكسرك رجال العائلة فتجيب: سأري من سينكسر أنا أم هم" [5] وباختيارها للعمل في مجال الصحافة تعلن فك الارتباط عن النظام المتسلط فالصحافة تمثل مساحة واسعة من الحرية, حرية التعبير, حرية الحركة ,و حرية التفاعل مع المجتمع "انضممت إلى جريدة الرأي الأخر " [6] فرمزية اسم الجريدة له دلالة الانعتاق والاستقلال عن الأخر (رجال العائلة (

وإذا دخلنا وطن ياسمينة صالح الزجاجي نكتشف معها ملامح جيل جديد تنعته ياسمينة بجيل المجزرة جيل القتل اليومي في هذه الرواية التي تحكي و تحاكي قصة حب بدأت في سني الطفولة في الريف ثم انكسار هذا الحب مع الرحيل لكن بعد سنوات يعود ليستيقظ من جديد في تحد لانكسارات وطن تحد للقتل اليومي تحد لسخرية الناس في كتاباتها طرحت الكاتبة تساؤلات عدة عن الأسباب و الدوافع الحقيقية التي كانت وراء محاولة تدمير الوطن الجزائر الحديثة أين اختلطت المفاهيم على كل الناس "فهل ثمة إنسان سعيد في هاته البلاد سوى فاقدي القلب و الذاكرة " [7] و لا يسعنا إلا أن نشيد بجرأة الكاتبة التي مارستها على مدار رواياتها " اكتب أن الدولة التي تقتل شعبها لا تستحق أن توجد " [8] ورغم كل المآسي والأحزان فهي لا تنسى أن تعلي من شان

المرأة في رواية " بحر الصمت " التي لا تخرج عن تيمة رواياتها عن جراح الوطن تقول ياسمينة على لسان السارد " في ليلة جاءني الوطن على شكل امرأة مغمورة بالتساؤل والغرور وقالت لي تعال فجئت " [9] في رواياتها هاته تتناول الروائية قضايا جريئة و محورية كانت الأسباب الرئيسة في قلق المواطن العربي عموما و الجزائري خاصة فعبرت خن هذه الهموم بكل شجاعة حيث تقول "هؤلاء الأسياد يعرفون من أين تؤكل الكتف(...) إنهم يريدون مصلحتهم و لا يهمهم بعد ذلك سوى أن يكونوا أغنياء كي لا يقرصهم الجوع[10] . "

وعن الخيبات العربية تتحدث الروائية سارة حيدر في روايتها "لعاب المحبرة" فتحكي قصة سقوط عربي أمام طوفان أمريكي تخيلته ملحمة من الصراع على الطريقة القديمة بين روما و أعدائها بين قوة مدمرة و عدو لا يرد و لا يصد كأبطال روايتنا عاجزون عالقون كل في شباكه يساورهم إحساس بأن لو تحرر الإنسان يمكنه تغيير العالم و لكن أي منهم لن يحاول الخروج من واقعه و سيبقى عاجزا حتى يحطم قيده ليحصل التغيير وهنا تسند هذه المهمة الخطيرة للمرأة ف "ليلى"كسرت الحلقة و عادت للواقع و تخلت عن حالة الجمود التي عاشتها لفترة وهي تكذب على نفسها منتظرة المعجزة . لعاب المحبرة تجسيد للألم و الواقع و السقوط و أبطالها يبحثون عن السلام الداخلي تحدثت المؤلفة على لسان كل واحد منهم غلى أرضية متماسكة بلغة , جميلة الاستعارات ,كثيفة المعنى , في تراكيب أخاذة و أفكار متراكمة تأمل معي ما تقوله " فيما أصدقائي يبحثون عن غبار الأوطان الضائعة, انكفئ على نفسي و أسخر من مآسيهم . لو امتلكوا قدرا ضئيلا من الذكاء لاكتشفوا أنهم كلهم منفيون , ولا وطن لهم سوى ذواتهم " [11] و هؤلاء الأبطال (شخصيات الرواية) لا مبالين بمشاهد المسخرة العربية حيث عبرت الكاتبة عن ذلك بجرعة زائدة من السخرية و بفرط من الجنون .

وتعتبر رواية أحلام مستغانمي " ذاكرة الجسد" من بين أروع روايات التألق الايجابي النسوي في رصد بناء الشخصية عبر علاقة رومانسية رائعة بين الرجل و المرأة لينعكس الواقع المتعارف عليه و المسلم به ليبدو الرجل أكثر استسلاما و سلبية من المرأة معشوقته فهي تقرر كل شيء و عبر هذه الرواية مارست بعض التحرر غير المعهود في المجتمع الجزائري فالكاتبة اتخذت من الكتابة وسيلة لحل مشاكلها و تفريغ ما في جعبتها " نحن لا نشفى من ذاكرتنا . ولهذا نحن نكتب و لهذا نحن نرسم و لهذا يموت بعضنا أيضا" [12] فكان الفن وسيلة من وسائل التمرد و التحدي في آن واحد أداته القلم عند أحلام تقول على لسان البطل خالد "هاهو ذا القلم إذن ... الأكثر بوحا و الأكثر جرحا . هاهو ذا لا يتقن المراوغة و لا يعرف كيف توضع الظلال على الأشياء . ولا كيف ترش الألوان على الجرح المعروض للفرجة. " [13] في هذه الرواية أسندت الكاتبة "الأنا" الأنثوية ل"الأنا" الذكورية أي أنها تقمصت صوت الرجل بقلم أنثى و خطابها أنثوي بصوت ذكوري وتعلو الرواية فوق مفارقات الواقع وفوق أنقاض الروح و الجسد هي الملحمة التي تجابه العالم بكتابة حياة و رسوم خالد و أشعار زياد فكل الشخصيات كان الفن سلاحها الوحيد في معركة الحياة الكبرى وفي روايتها الأخرى "فوضى الحواس" فالكاتبة/ الساردة و البطلة في الوقت نفسه تقر برغبتها في تأنيث اللغة حتى تلائم إرادتها و هويتها تقول أحلام " كنت أنثى القلق , أنثى الورق الأبيض , و الأسرة غير المرتبة , و الأحلام التي تنضج على نار خافتة و فوضى الحواس لحظة الخلق أنثى عباءتها كلمات ضيقة تلتصق بالجسد و جمل قصيرة لا تغطي سوى ركبتي الأسئلة.

منذ الصغر كنت فتاة نحيلة بأسئلة كبيرة وكانت النساء حولي ممتلئات بأجوبة فضفاضة ..." [14] من خلال رواياتها تصرح الكاتبة بميلاد حياة جديدة عبر الكتابة التي هي حركة دائمة نحو خلق عالم يسوده التوازن النفسي و التكامل الإنساني عالم مغاير تكون فيه المرأة متحررة من كل القيود التي ألغت وجودها و ركنتها لدهور في الظل فالكاتبة تلجأ إلى التاريخ حتى تبين لنا تمرد الأنثى و خصوصيته و ليس أدل على ذلك من استحضار الرواية لشخصيات نسائية مختلفة الدلالات فثمة جميلة بوحيرد و

الخنساء و جوزفين و كليوباترا و...تقول حياة في نفسها مقارنة بينها وبين كليوباترا "وكما كليوباترا ..التي وضعت كل زينتها و تعطرت و ارتدت استعدادا لموتها ذلك الثوب الذي رآها فيه انطونيو لأول مرة كي يتعرف عليها هناك حيث سيلتقيان بين ملايين البشر –مثلها تجملت وضعت عطر ذلك الرجل نفسه الذي بدأت به هذه القصة. و يقول كلما راني" الأسود يليق بك" فأجيبه بنبرة غائبة :

جميل قولك هذا ...انه يصلح أن يكون عنوانا لرواية قادمة قطعا لم أكن ارتدي الأسود حدادا كنت باذخة الحزن لا أكثر باذخة الإغراء مفرطة التحدي ." [15] فرواية فوضى الحواس كانت هي الأخرى نقطة انعطاف في الإبداع الأنثوي انتصرت للنساء بالمفهوم الايجابي و رفضت المفاهيم و الحقائق التي روجت لها وكرستها الإيديولوجية الذكورية يقول عن روايتها الراحل نزار قباني : " إن أحلام تكتبني دون أن تدري روايتها دوختني و أنا نادرا ما أدوخ أمام رواية " [16] فلغة أحلام لغة أنثى تزداد جنونا بالكتابة حيث تقول : " أن امرأة مجنونة و ازداد جنونا في حضرة الورق " [17] و هي ذي تربط الأنثى بالوطن فحب الأم منذ الصغر يتحول إلى حب اكبر هو حب الوطن فخالد يقول : "ولم أعد أذكر الآن بالتحديد و في أي لحظة بالذات أخذ الوطن ملامح الأمومة وأعطاني ما لم أتوقعه من الحنان الغامض [18]..."

وفي هذا الطريق سارت العديد من الروائيات العربيات قبلهن فنظرة على بعض العناوين تنم عن عذابات وقهر وحرمان أدى بهن إلى الدخول في حروب شرسة ضد الثالوث المحرم الدين والسياسة والجنس بغرض إثبات الذات والدليل على ذلك بعض العناوين التي تخص أعمال نسائية مثل: لم نعد جواري لكم – سحر خليفة / امرأة خارج الحصار – رجاء أبو غزالة / لست دمية – ثرية شيخ العرب / لعنة الجسد – صوفي عبد الله / جريمة الرجل / انتحار الرجل الميت / ارفض أن أكون رجلا .....الخ

فالمتمعن في هذه العناوين يرى دون مشقة حضور صراع الذكر ضد الأنثى والذي يعكس رغبة هذه الأخيرة في التمرد وكسر أغلال الذكر

حظيت هذه الموجة التمردية بنوع من الدعم من قبل مبدعين وأدباء من الجنسين بعض هذه الكتابات لم يقف عند حدود الجرأة والاندفاع في معالجة بعض القضايا بل خط بأحرف نارية تحرق كل من اطلع على مضمونها عبر اعتقادهن أن الإبداع حر والقول لا حدود له والتعبير شعاره الأوحد "الحرية" فخرجت آداب هذه الفئة عن المألوف واتخذت التمرد مطية لولوج باب المباح من القول فحادت آدابهن عن الطريق السليم وبدان يملن إلى البوح الداخلي والتفتح على الذاتية والرغبات الدفينة.

النتائج:

يختم فعن طريق الكتابة والإبداع الذي يتطلب الكثير من الحب و الشجاعة أعلنت المرأة عصيانها وتمردها وتحديها للواقع البائس الذي تعيشه وهذا التحدي الخاص أضفى على كتابات المرأة الروائية خصوصية معينة , فباستعادتها للكتابة استعادت صوتها في الحياة الذي سرقه منها المجتمع وعندما نقول المجتمع نقصد به الذهنية المتحكمة في الواقع الذكوري وبعد عمر مديد من الحكي والاقتصار على متعة الحكي وحدها تدخل المرأة عالم الكتابة و ممارسة الخطاب المكتوب إذ لم يعد الرجل هو المتكلم عنها والمفصح عن حقيقتها وصفاتها كما فعل على مدى قرون متوالية و لكن المرأة صارت تتكلم وتفصح وتشهر عن انفصالها هذا بواسطة القلم " الذي أداة ذكورية " لهذا خرجت المرأة من صمتها لتتعرق تحت أشعة شمس الإبداع وهي على علم أنها ستدخل معركة بولوجها إلى عالم الكتابة متأكدة من خسارتها ذاتها الجماعية (النظام البطريركي) العائق الدائم في طريقها بمركزيته وهامشيها لكنها ستربح ذاتها الكاتبة....

الهوامش:

[1]- نادية ليلى عيساوي : تيارات الحركة النسوية و مذاهبها الحوار المتمدن العدد 85- 2005/09/03

[2]- سارة جمبل : النسوية و ما بعد النسوية تر احمد الشامي ط1 2002 م المجلس الأعلى للثقافة ص 337.
[3]- فضيلة فاروق : تاء الخجل رواية . دار الديس. بيروت 2001 ص 13.
[4]- مصدر نفسه ص 15.
[5]- مصدر نفسه ص 29.
[6]- مصدر نفسه ص 37.
[7]- ياسمينة صالح : وطن من زجاج :رواية ,الدار العربية للعلوم/ ناشرون. ط1 .2006 ص 68.
[8]- مصدر نفسه ص 71.
[9]- ياسمينة صالح : بحر الصمت : رواية ,دارا لآداب بيروت . ط1 .2002 ص 65.
[10]- ياسمينة صالح : لخضر : رواية ,الدار العربية للدراسات و النشر. ط1 .2010 ص 105.
[11]- سارة حيد :لعاب المحبرة : رواية .منشورات الاختلاف . الجزائر . 2006.
[12]- أحلام مستغانمي : ذاكرة الجسد : رواية .منشورات anep . الجزائر 2004. ص 9.
[13]- مصدر نفسه ص10.
[14]- أحلام مستغانمي : فوضى الحواس : رواية دار الآداب . بيروت ط2 . 1998 ص 125/124.
[15]- مصدر سابق ص187.
[16]- غلاف رواية ذاكرة الجسد.
[17]- آسيا ومساوي و بشير مفتي , مقالة أحلام مستغانمي لا اغفر للذين نهبوا الجزائر , مجلة الاختلاف , ع3 , الجزائر 2003 , ص 30.
[18]- مصدر سابق ص329.